

الحلقة (٢٢)

موضوع هذه الحلقة تفسير الآيات (١٩٣، ١٩٢، ١٩١) من سورة البقرة

قال تبارك وتعالى {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} قوله تبارك وتعالى {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} معنى ثقفتموهم: أي وجدتموهم، يقال: ثقفته، أثقفه، إذا وجدته.

قال بعض المفسرين: قوله تعالى {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ} عام في جميع المشركين إلا من كان بمكة، يعني: لما كان قبل أن تفتح مكة، فإنهم أمروا بإخراجهم منها إلا من قاتلهم فإنهم أمروا بقتالهم، يدل على ذلك قوله في نسق الآية {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} وكانوا قد آذوا المسلمين بمكة حتى اضطروهم إلى الخروج، فكانهم أخرجوهم.

{وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ} يعني من مكة، فإنهم لا يقاتلون إلا من بدأ بالقتال، إلا من أشهر السيف، ف إن الله جلّ وعلا حرّم مكة ولم يجرّمها الناس، وإنما أحلت له عليه الصلاة والسلام ساعة من نهار وإنه رجعت حرمتها كما حرّمها ربنا تبارك وتعالى.

قوله تبارك وتعالى {وَأَخْرِجُوهُمْ مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمُ} يعني: من مكة، هم أخرجوا المؤمنين، فهم يخرجونهم، وهذا لما كان في فتح مكة، وقد عفا النبي صلى الله عليه وسلم عنهم لما اجتمعوا، قال عليه الصلاة والسلام (ما تظنون أني فاعلٌ بكم؟ قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم، فقال عليه الصلاة والسلام: "اذهبوا فأنتم الطلقاء) وهذا من عفوه عليه الصلاة والسلام وتسامحه، وإلا فقد آذوه وأخرجوه من أحب البقاع إلى قلبه عليه الصلاة والسلام وهي مكة، ومع ذلك عفا عنهم وتسامح وتجاوز.

قوله تبارك وتعالى {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} صدق الله؛ الفتنة أشد من القتل! كون الإنسان يُفتتن في دينه ويفتن بالدينار والدرهم، يُفتتن بمرض الشهوات، يُفتتن بمرض الشبهات وهو أعظم، لاشك أنّ الفتنة أشد من القتل، نعم الناس قد يهربون من القتل، والإنسان لا يريد أن تزهق روحه ويموت، ولكن الفتنة كما قلت أن يفتتن الإنسان في دينه فيرتد أو يشك أو يقع في أمورٍ لا تحمد عقباها، هذه أعظم من القتل.

هنا في هذه الآية {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} اختلف بالمراد في الفتنة على قولين:

• القول الأول: أنها الشرك، قاله ابن مسعود وابن عباس وابن عمر وآخرون.

• **القول الثاني:** أنها ارتداد المؤمن إلى عبادة الأوثان -نسأل الله العافية- الردة عن الدين، هذه أعظم من القتل، وهذا قول مجاهد.

وعلى هذا فيكون معنى الكلام على **القول الأول** وهو: من يرى أن الفتنة هي الشرك: "شرك القوم أعظم من قتلهم إياهم في الحرم" نعم، أي والله، كون الإنسان يبقى على الشرك هذا أعظم من أن يقتل في الحرم.

وعلى الثاني: ارتداد المؤمن إلى الأوثان أشد عليه من أن يقتل، يعني كون المؤمن يقتل، الحمد لله قد يكون شهيداً في سبيل الله، ظلم، بغي عليه، هذا أحب وأفضل من أن تطول به حياة فيعود ويرتد إلى عبادة الأوثان، وبكل حال، الحقيقة الفتنة أشد من القتل وفي الآية الأخرى في سورة البقرة {وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ}.

قوله تبارك وتعالى {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} عندنا الآن ثلاثة أفعال {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ} {حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} {فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ} هذه الأفعال الثلاثة فيها قراءتان:

(١) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وعاصم {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ} هذه هي قراءة الأربعة.

(٢) وقرأ حمزة و الكسائي {وَلَا تَقْتُلُوهُمْ}، {حَتَّى يَقْتُلُوكُمْ}، {فَإِنْ قَتَلُوكُمْ} يعني: بحذف الألف في جميع هذه الأفعال، واتفق الكل على قوله {فَاقْتُلُوهُمْ}.

احتج من قرأ بالألف بقوله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} واحتج من حذف الألف بقوله {فَاقْتُلُوهُمْ} على كل حال هما قراءتان سبعيتان ثابتتان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

← **مسألة** وهي: اختلف العلماء في قوله {وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ} هل هو منسوخ أم لا؟ هل عند المسجد الحرام لا يقاتلون حتى يقاتلونا أم أنه منسوخ؟

(١) ذهب مجاهد وجماعة من الفقهاء إلى أنه محكم ، غير منسوخ، وأنه لا يُقاتل فيه إلا من قاتل، أما من لم يقاتل فإنه لا يبدأ معه بالقتال، ويدل على هذا الحديث الصحيح أن نبي الله صلى الله عليه وسلم خطب يوم فتح مكة قال: (يا أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض، ولم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، وإنما أحلت لي ساعة من نهار ثم عادت حراماً إلى يوم القيامة).

فبين صلى الله عليه وسلم أنه خص في تلك الساعة بالإباحة على سبيل التخصيص، لا على وجه النسخ، فثبت بذلك حظر القتال في الحرم، إلا أن يقاتلوا فيدفعوا دفعاً، وهذا الأمر مستمر والحكم غير منسوخ، يعني: أنه لا يقاتل، لكن لو فرضاً الحرم على كل حال لا يريد عاص، ما يجي واحد يقتل شخص ويروح يختفي في الحرم ويقول أنا في الحرم، لا، يخرج من الحرم ويقام عليه الحد، لو هناك بغاة

أو مفسدون يخرجون إن لم يتيسر قوتلوا ولو في الحرم، ولكن إن تيسر أن يخرجوا ويقام عليهم الحد أو القصاص فهذا أمر، لكن لو لم يتيسر وقوتلوا داخل الحرم فلا حرج.

٢) ذهب قتادة إلى أنه منسوخ بقوله {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} فقد أمر بقتالهم في الحل والحرم وعلى كل حال، فمعناه: بدؤوا أم لم يبدؤوا قاتلوا أولم يقاتلوا، فإنهم يقاتلون واستدل بهذه الآية {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} لكن الراجح هو القول الأول.

٣) ابن زيد ذهب إلى أنه منسوخ بقوله {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}.

٤) وذهب مقاتل إلى أنه منسوخ بقوله {وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ}، لكن القول الأول هو الأصح: أن الآية محكمة.

{فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ} هذه ليست فيها شيء.

الآية (١٩٢) من سورة البقرة وهي قوله الله تبارك وتعالى {فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} قوله {فَإِنْ انْتَهَوْا} في المراد به ثلاثة أقوال:

• أحدها: أن معناه: فإن انتهوا عن شركهم وقاتلكم، يعني الأمرين الشرك والمقاتلة.

• الثاني: عن كفرهم وشركهم فقط.

• الثالث: عن قتالكم دون كفرهم.

فعلى القولين الأولين تكون الآية محكمة، وليس هناك نسخ ويكون معنى {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} يعني غفور لشركهم وإجرامهم.

وعلى القول الأخير يكون معنى قوله {غَفُورٌ رَحِيمٌ}

فالأول: غفور لكم حيث أسقط عنكم تكاليف قتالهم، لأنها ستكون هنا منسوخة.

والثاني: أن معناه: يأمركم بالغفران والرحمة لهم.

فعلى هذا، يعني على التوجيه الثاني، تكون الآية منسوخة بآية السيف والله أعلم، فعلى كل حال، يعني كما قلت ليس في الإسلام تشوف إلى القتل وإلى إراقة الدماء، وإنما إذا انتهوا ورجعوا عن شركهم {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} وهذا هو الظاهر من معنى الآية أنهم إذا رجعوا عن شركهم وتابوا وأنبأوا حتى ولو حصل أنهم عبدوا الأصنام وقتلوا من المسلمين ما قتلوا فإن تابوا {فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ}، وقد حصل هذا والله الحمد.

فجملة من الصحابة، خالد بن الوليد، أبو سفيان ابن حرب، عكرمة بن أبي جهل، صفوان بن أمية، كل هؤلاء تأخر إسلامهم وأبلوا في الإسلام بلاءً حسناً، بل روي عن خالد بن الوليد وعن عكرمة وصفوان وأيضاً أبو سفيان أنهم كانوا يقولون: والله ما أنفقنا ديناراً أو درهماً ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم لننفق مثله أو أكثر، وقالوا: والله ما شهدنا حرباً ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا سنشهد مثلها أو أكثر.

وبالفعل وفوا رضي الله عنهم بما قالوا، فقد أنفقوا في الإسلام الكثير الكثير، وجاهدوا في الله جلّ وعلا حق جهاده، وبذلوا مهجهم وأرواحهم في سبيل الله تبارك وتعالى، الحمد لله، الله غفورٌ رحيم، في حديث عمرو بن العاص (لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبَايَعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَسَطَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يده، فَكَفَّ يده فقال أشرتُ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَازَا تَشْتَرُطُ؟) قال يا رسول الله أشرتُ أن يغفر الله لي،- نعم! هو يعرف أن عنده أمور وقضايا كبيرة قبل إسلامه وأعظمها الشرك بالله عز وجل، فقال عليه الصلاة والسلام: (أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَجِبُ مَا قَبْلَهُ)، إلخ الحديث.

فالحمد لله من دخل في هذا الدين وتاب وأناب وأسلم وحسن إسلامه، فاللهُ لك الحمد، هذا يجب ما قبله { فَإِنْ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ } ما جاء في الآية أن الله يحاسبهم ويعاقبهم، وفي هذا أسلوب دعوة إلى الله عز وجل، ونحن نأتي إلى هؤلاء الكفار الآن ونقول له: يا فلان أنت صحيح حصل منك ما حصل في جاهليتك وفي شركك، لكن هذا لا يمنعك من الدخول في الدين، فذنوبك مهما عظمت ومهما كبرت، فهي بالتوبة والإنابة إلى الله جل وعلا يُغفر لك، والله جل وعلا لما ذكر حال الكفار قال تبارك وتعالى { أَقْلًا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ } فهذا الكلام نوجهه للمشركين والكفار، وأيضاً من مضى زمن على حياته في الفسق وفي الفجور والمعاصي، نقول إذا كان الله جل وعلا يعرض التوبة والمغفرة والرحمة لهؤلاء الكفار إذا أسلموا، فأنت ولله الحمد الآن مسلم، ولكن زلت بك القدم في وحل المعاصي، تب إلى الله وأنب إلى الله تعالى وأبشر { فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ }.

الآية ذات الرقم (١٩٣) من سورة البقرة: يقول تبارك وتعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ }

قوله تبارك وتعالى { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } المراد بالفتنة هنا: الشرك، قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وغيرهم، { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } يعني: أن من أهداف الإسلام في القتال والجهاد أنه لا يبقى شرك، ليس المقصود لا يبقى أبداً، لأن هذه سنة الله في الحياة يوجد مؤمن ويوجد مشرك، لكن المقصود أنه يفتح المجال للدعوة الإسلامية وألا يحجب نور الدين عن الناس، إلخ على كل حال { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً } المراد بالفتنة هنا: هي الشرك.

قوله جل وعلا { وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ } في سورة الأنفال: { وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } وهذا من الجمع بين المتشابهات، وفيما أتذكر أنها في موضعين، هنا في سورة البقرة بدون (كل) وفي سورة الأنفال { وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ } وهنا في سورة البقرة بدون كل، وينبغي لحافظ القرآن أن يعتني بحفظ المتشابهات، وهناك كتب من القديم والحديث نظمت فيها أبيات شعرية، وفيها رسائل صغيرة ولله الحمد موجودة في الأسواق وفي كل مكان، تعين حافظ القرآن على حفظ المتشابهات، وسبحان الله كل حافظ له طريقته في حفظ المتشابهات، فمثلاً: كل إنسان يرى أن هذه تشبه عليه في ترتيبها ترتيباً معيناً في ذهنه،

مثلاً {كُلُّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} كل القرآن {لِأَجَلٍ مُّسَمًّى} عدا موضع واحد في سورة لقمان {كُلُّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى}، وهنا مثلاً {وَيَكُونَنَّ الَّذِينَ لِلَّهِ} في سورة الأنفال {وَيَكُونَنَّ الَّذِينَ لِلَّهِ}، فينبغي لحافظ القرآن إذا أراد أن يضبط القرآن ويتقن حفظه أن يجمع المتشابهات، وكما قلت يستفيد مما كتب ومما نظم أيضاً في ترتيب المتشابهات، وأيضاً يكون له جهد خاص في ترتيب المتشابهات حتى يوفق بإذن الله جل وعلا أن يكون من الماهرين بالقرآن، وأن يكون مع السفارة الكرام البررة، الماهر بالقرآن هذا فضل الله جل وعلا يؤتاه من يشاء.

قوله تبارك وتعالى {وَيَكُونَنَّ الَّذِينَ لِلَّهِ} قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن يخلص له التوحيد، يعني: الدين الصحيح والدين الحق هو دين الإسلام، هو إخلاص التوحيد لله تبارك وتعالى.

{فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} يعني: إن انتهوا هؤلاء وكفوا كفوا قتالهم، أو كفوا عن الشرك، ودخلوا في دين الإسلام {فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} العدوان: الظلم وأريد به هنا الجزء، يعني فلا جزء إلا على الظالمين، فلا مجازاة، وإنما سمي الجزء عدواناً مقابلة للشيء بمثله، كقوله تبارك وتعالى {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} ليس المقصود إن الإنسان يعتدي، لكن لما كان الشيء من جنسه أتى بلفظ مثل لفظه، مثل قول الله تبارك وتعالى {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا} ليس معنى ذلك: أن الإنسان أساء إليّ أنا أسىء إليه، لا مانع أني أخذ حقّي، وأخذك لحقك والحالة هذه؛ مشاكلة ومشابهة، ولذلك أطلق عليه اللفظ "مثله" مثل هذا يقال للآخر، فهنا المقصود بالعدوان هو المجازاة، العدوان: ظلم، ويراد به الجزء، وسمي الجزء عدواناً مقابلة للشيء بمثله كقوله {فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ} فلا أحد يفهم من قوله {فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ} أن الإسلام يؤيد العدوان ويؤيد ظلم الناس، أعوذ بالله حاشا وكلا، المقصود: جيء بلفظ مثل ذلك اللفظ لأنهما في سياق واحد ويراد به الجزء.

{فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ} الظالمون هنا: هم المشركون، قاله عكرمة وقتادة وآخرون، وبلا شك أيها الأخوة أن أعظم الظلم هو الشرك بالله عز وجل، لأنه وضع العبادة في غير موضعها الصحيح، ولما نزل قول الله تبارك وتعالى {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُّهْتَدُونَ} شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: يا رسول الله: وأينا لا يظلم نفسه؟ فقال عليه الصلاة والسلام: {إِنَّهُ لَيْسَ الَّذِي تَعْنُونَ، إِنَّهُ مَا جَاءَ فِي قَوْلِ الْعَبْدِ الصَّالِحِ {إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}} فالشرك هو أعظم الظلم وأقبحه وأشنعه لأنه عبد مع الله جل وعلا غيره، صرف العبادة لمن لا يستحقها.

أختم هذه الآية أن جماعة من المفسرين منهم قتادة ذهب إلى قوله تعالى: {فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ}: هذا منسوخ بآية السيف، وإنما يستقيم هذا إذا قلنا: فإن انتهوا عن قتالكم مع إقامتهم على دينهم، يعني: هذا لا يتأتى أن يقال في نسخ؛ إلا إذا كان المراد إن انتهوا عن قتالكم مع

إقامتهم على دينهم، مع أنهم لا يزالون على دينهم، ولكنهم كفوا عن القتال، أما إذا قيل إن معناه: إن انتهوا عن دينهم فالآية محكمة بلا شك.

يعني هو المسألة الكلام عن الانتهاء الآن {فَإِنْ انْتَهَوْا}

إن قيل: إنَّ الانتهاء هو الانتهاء عن القتال مع بقائهم على الدين فقد يقال: نعم إنَّ هذا فيه نسخ. لكن إن قيل: إنَّ المراد بالانتهاء هنا هو الانتهاء عن دينهم، تركوا دينهم، دين الكفر والشرك، وانتقلوا إلى دين الإسلام، لاشك أن هذا مطلب، وهذا أمرٌ يحبه المسلمون أن يدخل الناس في دين الله عز وجل، فلا يجوز بعد ذلك الاعتداء عليهم، هذا كلام في الحقيقة جميل من كلام بعض المفسرين أنه: إذا كان المراد بالانتهاء هو انتهاؤهم عن دينهم، وانتقالهم إلى دين الإسلام، فإن الآية محكمة، وعليه فلا يجوز بأي حال من الأحوال أن يعتدى عليهم، الحمد لله هؤلاء دخلوا في دين الإسلام هل يعتدى عليهم؟! أعوذ بالله، هذا لا يقوله عاقل ولو حصل شيء من ذلك فهو قد يكون خطأ، مثل ما حصل من خالد بن الوليد رضي الله عنه لما قتل أولئك القوم ولم يتبين له أمرهم، وأيضاً في قصة قبل ذلك، هذا إذا كان الأمر خطأ، أمر غير مقصود هذا شيء آخر، وإلا فنحن ولله الحمد نرغب الناس أن يدخلوا في هذا الدين ونبين لهم محاسنه وتعاليمه، وندفع عنه أيضاً التهم التي ألصقت به، فإن ديننا دين الإسلام تلصق به ما بين الفينة والأخرى بعض التهم الجائرة الباطلة، مثل أن دين الإسلام يتبنى الإرهاب، أو أن دين الإسلام يهضم حقوق الإنسان، أو أنه لا يعترف بحقوق المرأة، أو أنه دين الظلم وعدم المساواة وغير ذلك من الافتراءات غير الصحيحة، بل الإسلام دين يحارب الإرهاب، وهو الذي أقام حقوق الإنسان، وهو الذي أعطى المرأة حقوقها، ووروا إلى غير ذلك، كون أخطاء تحصل من فلان أو علان فهذا من أخطاء يتحمل خطأه، والإسلام براءً منه، أسأل الله جلَّ وعلا أن يثبتني وإياكم على الدين وأن يمنحنا الفقه فيه هذا وصلى اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم.